

"أنا بدوية بثقافتي" بطاقة هوية، أمل الصانع

ماذا يعتقد الإسرائيلي حول المرأة البدوية؟ أنها مسكينة، مذعنة ومستكينة، أمية. أمل الصانع، التي تسكن مع عائلتها في بئر السبع هي امرأة بدوية من صنف مغاير. رفيق حلي يقابل أمل الصانع حجوج حول الهوية البدوية، الثقافة والإحتجاج

رفيق حلي



رفيق: أمل الصانع، اسمحي لي ببدا حديثنا بتعريف الهوية. ما هي هويتك؟
أمل: أنا عربية، فلسطينية مواطنة دولة إسرائيل.

رفيق: لست بدوية؟
أمل: أنا بدوية بثقافتي.

رفيق: كيف يعرف معظم البدو في النقب هويتهم حسب اعتقادك؟
أمل: يتعلق بأي جيل أنت تسأل. فعلى سبيل المثال ستعرف جدتي نفسها بأنها في المرتبة الأولى عربية، وأمي ستعرف نفسها بأنها بدوية. كل من عاش فترة

الحكم العسكري يعرف نفسه كبدوي الحكم العسكري من خلال اللجوء إلى سياسة "فرق تسد" أطلق تعريف البدو على أهالي النقب وفصلهم عن باقي الشعب.

رفيق: ولم يكن للبدو أي ضلع في ذلك؟

أمل: من يعرف نفسه اليوم بأنه بدوي فإنه يفصل نفسه عن المجتمع العربي. هذا ما تراه الأكثرية اليهودية. خلال العام الأول من دراستي الجامعية عرفت نفسي بأنني عربية. فقلوا لي: "ماذا تقولين؟ نحن نعرف بآئك بدوية. البدو ليسوا عرباً". فشرحت لهم أن مصطلح البدوي لا يعني إلا نمط وطريقة الحياة. أما هويتي فهي

عربية، وأنا جزء من الشعب الممتد من المحيط إلى الخليج. قوميتي عربية وأنا جزء من الشعب الفلسطيني.

رفيق: كيف تفسرين حقيقة ازدياد عدد الشبان البدو الذين ينخرطون في صفوف الجيش؟

أمل: لو وجهنا إلى هؤلاء الشبان سؤالاً حول سبب انخراطه في الجيش فلن نحصل على أي إجابة بأن ذلك يتم من منطلق الانتماء للدولة أو من منطلق إيمانه بأن عليه أن يؤدي الخدمة العسكرية. وقد لاحظنا في الآونة الأخيرة خلال مواراة جثمان أحد الجنود البدو كيف تقوم العائلة بتغطية العلم الإسرائيلي ببطانية، مما يدل على مدى العار الذي شعروا به لأنه كان يخدم في صفوف الجيش. إن غالبية الشبان ينخرطون في العسكرية لأنه ليس لديهم أي عمل يزاوولونه.

رفيق: الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتدني الذي يعاني منه البدو - هل هو ناجم عن السياسة أو عن نمط الحياة الذي ينتهجه البدو؟

أمل: أعتقد أن بدايته تعود إلى السياسة. فالبدو عندما كان يعيش على أرضه لم يعان من الفقر الذي يعاني منه اليوم. ولم يتعرض للإرباك الاجتماعي الذي يعتره اليوم. سياسة توطين البدو ونقلهم من حياة البداوة إلى الحياة في المدينة تسببت في نشوء الكثير من المشاكل، لا سيما بسبب تجاهل مشاعر الناس ورغباتهم وآرائهم. لم يتركوا حرية القرار لهؤلاء الأشخاص حول هل يريدون الانتقال أم لا. وأنا أعتبر هذا نوعاً من الملاحقة، حيث يقرر شخص آخر بدلا منك كيف تعيش.

رفيق: عندما يقولون "بدو" في النقب فالمقصود هو "واسطة" و"خاوة"، سرقات، عنف، إجرام.

أمل: يهمني الإشارة إلى أن المتواجدين على هامش المجتمع هم الذين يتصرفون على هذا النحو، لا سيما الشباب العاطلون عن العمل. وأعتقد أن مثل هذه الظواهر موجودة في كل من تل أبيب وبئر السبع، لكن وسائل الإعلام هي من يقرر هل تبرز هذه المشكلة في صفوف البدو أو اليهود.

رفيق: كانوا يقولون إن البدوي شخص طيب وساذج، يعيش في أجواء رومانسية، غريبة، يعيش مع الماشية في البادية. ما جرى لهذه النظرة المقولية اليوم؟

أمل: لشدة الأسف، ليست هذه هي الصورة التي نشهدها اليوم. وأنا لا أريد تجميل الأمور. ولا شك أن ظاهرة الإجرام موجودة وأنا لا أؤيدها، لكنني أستطيع تفهمها. أستطيع أن أفهم ذلك الشاب الذي يعود إلى منزله فيكتشف

للمطالبة بنيل حقوقك، بل تشعر بأن أي شيء تقدمه لك الحكومة هو بمثابة معروف. وبالتالي تكون طوال الوقت ممنونا لهذه الحكومة. الخروج من الجهل يعني أن تكف عن اعتبار أنفسنا مساكين، وإنما ذوو حقوق، لدينا القوة للمطالبة بحقوقنا المدنية في دولة إسرائيل.

رفيق: أسمع منك عن بركان سوف ينفجر.

أمل: أعطيك مثلاً. عندما قمت بتنظيم المظاهرات، غضب علي والدي واتهمني بتخريب العلاقة مع الحكومة وأنه لا يمكن تغيير شيء. جبلي يختلف عن هذا الجيل. نحن نقول: "لن نترك لهم رأسنا ليقطعوه. إننا نريد التخلص من الشخصية الانهزامية المذعنة التي ميزت أهاليينا وأبناء جيلهم، إننا نعرف ونعني ما هي حقوقنا ونطالب بالحصول عليها في إطار القانون. عندما أنظم أي مظاهرة، فإنني أحرص على العمل في نطاق القانون. لكن إذا لم أحقق الإنجاز سيحاول لي أبناء الجيل القادم، مثل ابنتي عدن: "أنت عملت في نطاق القانون ولم تحققي أي شيء، ولم نلاحظ أن الحكومة قد اعترفت بك، وبالتالي فنحن لن نعمل حسب طريقك أنت بل سنبحث عن طريقة أخرى".

رفيق: ما هي الطريقة الأخرى؟
أمل: من الجائز أن تختار عن طريق العنف أو أي طريقة غير قانونية أخرى، وما كنت أريدها أن تختار هذه الطريقة. فالقانون لم يحترم أهلها كبشر، ولذا فهي لن ترغب في احترام القانون. ومن الجائز أن تكون هذه الانتفاضة القادمة. أنا شخصياً كأمل، امرأة تعمل بصورة شعبية ولا أريد التهديد بانتفاضة. أريد أن تكون هذه المؤسسات مدركة لمهمتها وأن تعمل على إصلاح الوضع في هذا الجيل. إذا تمكنت الحكومة من تجنيد ميزانية



المليون شخص من القادمين الجدد، ليس بحوزتها ميزانية كافية لـ ١٥٠ ألف عربي بدوي يقيمون في النقب؛ وحتى إذا تغيرت الأوضاع، فالسؤال هو: هل سنتحول إلى مجتمع إنتاجي مثقف، أم سنبقى مجتمعاً يعاني مع الجميع من الوساطة والخاوة وسرقة السيارات وغيرها.

رفيق: لننتقل إلى موضوع آخر، شخصي. أنت متزوجة من رجل من عائلة الحجوج وما زلت تحتفظين باسم عائلتك قبل الزواج.

أمل: هذا يعبر عن موقفك المؤيد والمناصر للمرأة.

رفيق: هل توجد حركة بدوية مناصرة للمرأة؟

أمل: هناك اتحاد من الروابط والجمعيات النسائية العربية في النقب. وهو يضم ٢٢ عضواً تمثل المنظمات النسائية، ليست جميعها متضامنة ومتعاطفة مع حقوق المرأة، لكن لدينا الكثيرات اللواتي يعلن عن تأييدهن ومناصرتهن للمرأة.

رفيق: ما الأكثر تعبيراً عن النسوية في نظرك؟ ثمة حدود؟

أمل: السماء هي الحدود.

رفيق: حقاً أنت، أمل الصانع، تقولين إن السماء هي الحدود بالنسبة للنساء؟

أمل: حسب قدراتهن. حتى الثورة ضد المجتمع الذكوري.

بثت هذه المقابلة ضمن البرنامج "رفيق حلي في الميدان" في القناة الثانية في ٢٠٠٥/٢/١٩ أمل الصانع هي مديرة "أجيك" في معهد النقب لإستراتيجيات السلام والتنمية

أنهم قد هدموه - ما هي المشاعر التي سنتنابها؟ فمن جهة يقولون له إن عليه الشعور بالانتماء والولاء للدولة، ومن جهة ثانية يهدمون بيته ويحرمونه من الماء. ما هي المشاعر التي سنتنابها؟ الغضب الذي يقوده إلى العواقب السلبية. وأنا أعتقد أنها مجرد أعراض لسياسة الاضطهاد والإجحاف المنتهجة بحق المجتمع البدوي في النقب، وهي سياسة متعمدة تحاول نهب أراضيهم وحقوقهم في اختيار نمط الحياة الذي يناسبهم. هذه هي النتيجة.

رفيق: إذا كانت هذه سياسة، فما الهدف منها؟

أمل: الهدف الأساسي هو تحويل أهالي النقب إلى جهلة. لأنه من السهل السيطرة على الجهلة. فالجاهل أشبه بالعبد المنقاد المهان، وكل ما يهيمه هو تلبية احتياجاته الأساسية للغاية: الطعام، الشراب والنوم، تتركه منهمكاً بهذه الأمور لتمكن من السيطرة عليه.

رفيق: هل هناك سياسة إسرائيلية تتعمد تجهيل البدو؟

أمل: بالطبع. حين تعمل وزارة التربية والتعليم على إعداد المناهج التعليمية بصورة بعيدة ومغترية عن ثقافتنا وتراثنا وعن واقعنا وهويتنا فإن ذلك يعني مصادرة الهوية.

رفيق: تتحدثين عن التجهيل؟

أمل: ليس الجهل هو عدم معرفة القراءة والكتابة. فحتى إن كنت من الملمين بالقراءة والكتابة، يمكن أن تجهل حقوقك، عبد تخشى المطالبة بحقوقك. هذا هو الهدف: لئلا تطالب بحقوقك ولا تحسن المطالبة بها. إذا حولتك إلى جاهل، أستطيع أن أسيطر عليك طوال الوقت، فلا تقف أمام المؤسسات الحكومية